في ذكرى اليوم الوطني ٨٢

الملك عبدالله بن عبدالعزيز قائد فذ وزعامة تجاوزت الحدود

بقلم: دولة الرئيس سعد الحريري- لبنان

كان لي حظ وشرف الالتقاء بقائد فذ، وملك مصلح.. وشخصية تاريخية استثنائية.. هو عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود.. خادم الحرمين الشريفين وملك المملكة العربية السعودية، الزعيم العربي الذي عرف نموذجا للمصداقية والحكمة والاعتدال.

هذا الفارس العربي المسلم.. ورث سفراً ناصعاً من التاريخ في القيادة والسياسة والحكم، كونه من سلالة بيت عريق وأسرة مباركة، كانت بحق هبة من الله عز وجل إلى جزيرة العرب.. بل وإلى العالم أجمع.. نهل من هذه الدوحة الثرية بالقيم والخلق ورث منها كل صفات القيادة والإنسانية والدين، وكل صفات الشهامة والشجاعة والحنكة.

يضاف إلى ذلك.. ما وهبه الله من ذاتية خلاقة ومواصفات شخصية نادرة وملكات وقيم مكتسبة في تنشئة صالحة، ومناخ نقي ومحكوم بالقيم والمثل بذلك يحق لنا أن نكون أمام هذه الشخصية الاستثنائية في عصر قلّتْ، أو لنقلْ: انعدمت فيه الكاريزما الخلاقة وافتقد العالم فيه إلى سحر القيادة الذاتية، لنكون جيلا محظوظاً بأن نكون من جيل هذه الشخصية التاريخية الاستثنائية الكاريزمية، خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز- حفظه الله.

وإذا كنت قد استلهمت انطباعاتي عن هذه الشخصية الفذة خلال تشرفي بلقائه عدد مرات، رسمية وشخصية لانه كان بمثابة الوالد الأكبر الذي نفزع له في ترحنا كما نسعد به في فرحنا، أقول إذا كانت هذه هي انطباعاتي استلهمتها شخصيا من لقاءاتي معه حفظه الله إلا أني قبل هذا وبعده، قد تشربت حب وتقدير وإجلال هذه القيادة الرشيدة لهذا البلد الأمين.. من الوالد الشهيد رفيق الحريري.. الذي أعرف قبل غيري كم كان يحب هذا البلد ويحب قيادته ويعتز بشعب المملكة.. ولا ريب في ذلك، فقد احتضنته المملكة، وأحبته، كما أنه قد شرب من مناخها الحب والوفاء والرجولة والشهامة.

إننا مثل الرئيس الشهيد.. إذا كنا نعتز ببلدنا لبنان وبه نفخر ونكبر.. فإننا نعتز ببلدنا ووطنا المملكة العربية والسعودية وبه نفخر ونكبر.. ولعلنا من القلائل الذين حباهم الله بكرمه.. أثيرين وشعبين كريمين خلاقين.

إننا كأسرة للشهيد الحريري نفخر، ونعتز ببلدنا المملكة العربية السعودية.

فقد علّمنا رفيق الحريري شهيد لبنان وشهيد المملكة والعالم العربي والإسلامي علمنا الوفاء وحب المملكة وزرع فينا الولاء لها وأن نفتديها بكل ما نملك: النفس قبل الولد والمال والجاه، والعمل وكل ذلك لا يعادل ذرة مما أعطتنا مثلما أعطت كل أبناءها وشعبها.

علمنا رفيق الحريري أن لبنان كان دائما في قلب المملكة العربية السعودية ولا يزال، وبكل أطيافه وطوائفه وأعراقه، كانت المملكة العربية السعودية لهم بمثابة الوطن الآخر والشعب المحب والأخ الأكبر.. والصادق الصدوق ومن منا يمكن أن يتناسى دور المملكة في إطفاء نار الفتنة إبان الحرب الأهلية التي حصدت الأخضر واليابس على مدى عشرين عاماً وما تلا ذلك، وما كان قبل ذلك.. ويكفي أن أكبر جالية لبنانية خارج لبنان.. هي في بلدهم الثاني المملكة العربية السعودية لا يلقون إلا كل رعاية كريمة، وتقدير وحب.

لقد علمنا رفيق الحريري أن الخير والفضل يجب دائما أن ينسبا لأهله.. دون مواربة أو غرور مصطنع أو ذاتية مقيته.

◆ قدم الملك عبدالله بن عبدالعزيز .. نموذجاً مختلفاً للقيادات السياسية ليس في عالمنا العربي فحسب، ولكن في العالم كله ،

◆ خادم الحرمين الشريفين يصل لما يريده من أقصر الطرق.. لأن شخصيته الواضحة والصريحة لا تقبل المسالك المعوجة.. ولا الرأي المغلف،

وعندما أتحدث عن عبدالله بن عبدالعزيز.. الملك الفارس والمصلح الفذ. بطلب كريم من مجلة الحرس الوطني. فإنني سأكون عاجزاً لا محالة. لأنني أمام شخصية تاريخية استثنائية وليس لمثلي أن يقيم.. أو يحلل شخصية مثل هذه الشخصية العظيمة.. ولكن هي انطباعات شخصية من أحد أبناء مدرسة عبدالله بن عبدالعزيز في السياسة والإدارة والعلاقات الدولية.

إنه حفظه الله مثال نادر للوضوح والصراحة وهي صفات لا تصدر إلا عن إيمان عميق وثقة بالله وعن شجاعة وثقة متناهية بالنفس. فخادم الحرمين الشريفين يصل لما يريده من أقصر الطرق واوضحها لأن شخصيته الواضحة والصريحة لا تقبل المسالك المعوجة ولا الرأي المغلف. مثلما تعودنا عليه للأسف الشديد في الخطاب السياسي العربي.

إنه يتخذ قراره بقوة دون تسرع أو تعجل في الرأي.. لأن من يعرفه- حفظه الله- يعرف انه لا يتخذ قرارا إلا بعد استشارات ودراسات ورؤية.. لأنه كما تعلمنا منه . يؤمن بعمل المؤسسات ضمن المنظومة الشاملة لاتخاذ القرار.

أنني أتحدث عن هذه الصفات من باب الإعجاب والتأثر بها. لأننا في تاريخنا السياسي المعاصر تعودنا كما ذكرت على الخطب الرنانة الجوفاء.. والمزايدات والشعارات الاستهلاكية. التي تدغدع مشاعر الكثير من الجماهير لكنها لا تفعل لهم شيئاً بل قد تؤدي إلى المهالك والمآسي وتاريخنا العربي المعاصر يعج بالشواهد والنتائج لأن ذلك لا يعدو كونه ضجيجاً دون رصيد من الواقع والعقل والإبداع.

الملك عبدالله بن عبدالعزيز.. قدم نموذجا مختلفاً للقيادات السياسية ليس في عالمنا العربي فحسب. ولكن في العالم. ولعل هذا أحد أسرار احترام وتقدير العالم له.. حتى من يختلفون معه أحيانا في بعض الآراء أو الاجتهادات.

أذكر خلال زيارته إلى لبنان في عام ١٩٩٨م أنه أعطى حديثا صحفيا إلى جريدة السفير وأذكر أن كل أطياف لبنان من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين قد أجمعوا على احترامه. بل وعلى محبته وهذا أمر نادر في لبنان المعروف بالتعددية والآراء وكثرة الجدل حول الشخصيات والأفكار والآراء..

لكن عبدالله بن عبدالعزيز كان مثار إعجاب واحترام وحب الجميع.. ولم أر رفيق الحريري أسعد منه في تلك الأيام وهو يجول به في سيارته الخاصة في شوارع بيروت منتشياً بالفرح والحبور والسعادة وهو مع خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز (عندما كان ولياً للعهد) في بيروت.

ومن الصفات التي شدتني فيه حفظه الله روح الأبوة لديه. وإنسانيته وقربه الإنساني مع كل من يلتقي به فهو يملك قلباً كبيراً ولقاءاته دائما ما تكون دافئة وودودة ولن تستغرب عندما يسألك عن أشياء خاصة وشخصية للاطمئنان. ولإشعارك بالاهتمام والأبوة الحانية. بابتسامته المعهودة. وبلطائفه الجميلة التي يطلقها بين الفينة والأخرى.

وهذه هي المفارقة ولعلها أيضاً أحد أسرار عظمة هذه الشخصية الكبيرة. فهو قائد جاد وواضح في مواقفه. ذو إرادة قوية. وزعيم مهاب وله حضور قوي وفي الوقت نفسه هو الشخصية الودودة المحبة القريبة دائماً من كل الأطراف فهو دائماً يعني مايقول ولا يقول إلا مايعني بالفعل. لأنه لا يؤمن بالاستهلاك الإعلامي أو الكلامي الذي نصطدم به.. صباح مساء في خطابنا الإعلامي والسياسي والفكري في عالمنا العربي والإسلامي.

الآن والمملكة تحتفل بالذكرى الثالثة والثمانين لليوم الوطني المجيد فإننا نهنئ أنفسنا بمناسبه هذا اليوم وبقيادة حكيمة لها مكانتها الدولية

تمضي المملكة بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز ومعه سنده وساعده صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز وكذالك صاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبدالعزيز في السير بسفينة المملكة بحكمه وإقتدار حفظهم الله جميعا . ذخراً لوطنهم. وشعبهم وللعالمين الإسلامي و العربي و الانسانيه جمعاء.

وكل عام والمملكة بخير ورفعة.. ووطن المحبه ينعم بالاستقرار والرخاء